ديوان

علي أحمد باكثير

سِحر عدن وفخر اليمن



تحقيق وتقديم

د. محمد أبوبكر حميد

ديوان علي أحمد باكثير

سحر عدن وفخر اليمن

ديوان
علي أحمد باكثير
سحر عدن وفخر اليمن
تحقيق وتقديم
د. محمد أبوبكر حميد

لم يُصدر علي أحمد باكثير (١٩١٠-١٩٦٩م) ديواناً شعرياً في حياته، وحقق مكانة جعلته واحداً من أهم وأشهر أدباء العرب في العصر الحديث من خلال نتاجه الثري والمتميز في المسرحية والرواية، إلا إنه لم يتوقف عن نظم الشعر طوال حياته، وترك تراثاً شعرياً ضخماً جعلت باكثير الشاعر يزاحم باكثير المسرحي!

وقد أخذت على عاتقي منذ أكثر من عشرين عاماً - ضمن عنايتي بتراثه المخطوط - جمع شعره وتحقيقه وإعداده للنشر وفق مراحل حياته المتعددة، فأصدرت قبل سنوات ديوان «أزهار الرُّبا في شعر الصبا» شعره في المرحلة الحضرمية (١٩٢٣-١٩٣٢م).

والآن نقدم للقارئ ديوان «سِحر عدن وفخر اليمن» الذي يضم شعر المرحلة العدنية (١٩٣٢-١٩٣٣م)، وهو تصوير وجداني وتاريخي للإزدهار الذي عرفته الحياة الفكرية والثقافية وأحداثها في عدن آنذاك، وتجسيد للعلاقة الحميمة التي ربطته بأعلامها الرواد، خاصة رائد نهضتها الأستاذ محمد علي لقمان ورفاقه في نادي الإصلاح العربي الإسلامي وفروعه.

ويلي هذا الديوان، ديوان «صَبا نجد وأنفاس الحجاز» الذي يضم شعره في المرحلة السعودية (١٩٣٣-١٩٣٤م)، ثم ديوانه الضخم «وحي ضفاف النيل» الذي سنجمع فيه شعر المرحلة المصرية (١٩٣٤-١٩٦٩م) وهي الجزء الأكبر من حياته.

وبعد أن يكتمل إصدار هذه الدواوين يعود علي أحمد باكثير إلى الحياة ليتبوأ - على أيدي النقاد والدارسين - مكانته الجديدة اللائقة به بين شعراء العربية في عصره.

محمد أبوبكر حميد

توزيع

دار حضرموت للدراسات والنشر
ص.ب: ٨٧٦١ - المكلا - حضرموت
هاتف: ٣٠٢٨٥٩ - فاكس: ٣٥٠٥٤١
الجمهورية اليمنية

مكتبة كنوز المعرفة
ص.ب: ٣٠٧٤٦ - جدة: ٢١٤٨٧
هاتف: ٦٥٧٠٧٢٢/٦٥١٤٢٢٢ - فاكس: ٦٥١٦٥٩٣
المملكة العربية السعودية



ديوان
علي أحمد باكثير

سِحرُ عدن وفخرُ اليمن

تحقيق وتقديم

د. محمد أبو بكر حميد

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

توزيع



مكتبة كنوز المعرفة
ص.ب : ٣٠٧٤٦ - جدة : ٢١٤٨٧
هاتف : ٦٥٧٠٧٢٢/ ٦٥١٤٢٢٢ - فاكس : ٦٥١٦٥٩٣
المملكة العربية السعودية



للدراسات والنشر
ص.ب : ٨٧٦١ - المكلا - حضرموت
هاتف : ٣٠٢٨٥٩ - فاكس : ٣٥٠٥٤١
الجمهورية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم



صورة تاريخية للشاعر في عدن سنة ١٩٣٢م

وما أنس لا أنس عهداً (بشمـ ـسان) جاد به الدهرُ بعد البُخل
لقيتُ به الأصدقاء الكرام دُعاة الصلاح أُساة العلل

علي أحمد باكثير

إهداء العدنيات

إلى روح لا أسميها لحقت بباريها وتركتني أرثيها وأبكيها في آلام أعانيها وهموم أقاسيها وهوة من اليأس أتردى فيها

وإلى صديقي الحميم الكاتب العظيم الأستاذ محمد علي إبراهيم الذي رزقني الله به عافية بعد بأس ورجاء بعد يأس وعزاء بعد حزن وطمأنينة بعد قلق وسكونا بعد اضطراب

أهدي هذه ((العدنيات))

تذكارا للصداقة والحب

علي أحمد

الإهداء بخط الشاعر

الإهداء

إلى روح لا أسميها، لحقت بباريها، وتركتني أرثيها وأبكيها في آلام أعانيها، وهموم أقاسيها، وهوة من اليأس أتردى فيها..

وإلى صديقي الحميم الكاتب العظيم :

الأستاذ محمد علي إبراهيم لقمان

الذي رزقني الله به عافيةً بعد بأس، ورجاءً بعد يأس، وعزاءً بعد حزن، وطمأنينةً بعد قلق، وسكوناً- بعد اضطراب ..

أهدي هذه العدنيات تذكاراً للصداقة والحب..

علي أحمد باكثير

عدن : ١٣٥١/١١/١٩هـ

الموافق ١٩٣٣/٣/١٥م



عدن في أوائل ثلاثينيات القرن الميلادي الماضي إبان إزدهار نوادي الإصلاح الثقافية بها

(عـدن) ثغرٌ جميلٌ ضاحكٌ ... وبنو الإصلاحِ في الثغرِ ابتسامْ

علي أحمد باكثير



فخر اليمن

محمد علي لقمان

رائد نهضة عدن الفكرية والثقافية في شبابه أثناء وجود صاحب الديوان بها.

وكيف أنسى خليلاً قد نسيتُ به ... أهلي وصحبي وإخواني وأوطاني ؟!

مُؤسِّسَ النهضة الشمّاء في (عدن) ... مقيمُها غيرَ هيّابٍ ولاوانِ

كأنه ملكٌ مولاه أرسلهُ ... لينفخَ الروحَ في أبناء قحطانِ

إني لأذكُرُه والكأسُ عند فمي ... فأطرحُ الكأسَ من وجدٍ وتحنانِ

فأسألُ اللهَ مولانا الكريمَ بأنْ ... يضم شملي يوماً ما بـ (لقمان)

علي أحمد باكثير

مقدمة

لم يصدر علي أحمد باكثير (١٣٢٨-١٣٨٩هـ، ١٩١٠-١٩٦٩م) ديوانًا شعرياً في حياته، ولكنه لم يتوقف قط عن نظم الشعر الذي كان ينشره من حين لآخر، وباطلاعي على محتويات مكتبه في منزله بالقاهرة، وجدت أن المخطوط من شعره أكثر من المنشور، وتأكد لي أن الشعر كان رفيق حياته في كل مراحلها المتعددة، وكان مرآة وجدانه وسلوة خاطره والحرز المكين لمشاعر قلبه، ولم تستطع الرواية والمسرحية بكل ما حققه فيهما من نجاح وذيوع صيت ومكانة أدبية مرموقة أن تبعداه عن الشعر، بل نجد أن الشعر كان حاضراً في أعماله الروائية والمسرحية حضوراً لافتا للنظر، وحضوراً مميزاً ورائداً في مسرحياته الشعرية التي أحدث بها انقلاباً ليس في تاريخ المسرحية الشعرية العربية فحسب بل في تاريخ الشعر العربي كله، وأصبح رائد الشعر الحر في أدبنا الحديث باعتراف معظم النقاد.

ينتمي شعر علي أحمد باكثير إلى أربع مراحل أساسية في حياته ترتبط بالبلدان التي أقام فيها عاماً أو أكثر قبل استقراره نهائياً في مصر. المرحلة الأولى هي «**المرحلة الحضرمية**» حيث وصل إلى حضرموت وطنه الأصلي في سن العاشرة تقريباً، وظل بها حتى سنة ١٩٣٢م. والمرحلة الثانية هي «**المرحلة العدنية**» التي أثمرت قصائد هذا الديوان وانتهت هذه المرحلة سنة ١٩٣٣م حيث غادرها إلى الحجاز بالمملكة العربية السعودية فكانت «**المرحلة الحجازية**» هي المرحلة الثالثة حيث بقي هناك فترة مماثلة، وغادرها سنة ١٩٣٤م إلى مصر.

ونتج عن كل مرحلة من هذه المراحل ديوان شعر لم ينشر في حياته. وكان أن جمعت ديوان المرحلة الحضرمية (**أزهار الرُّبا في شعر الصِبا**) وصدر محققاً سنة١٩٨٧م. وهذا الديوان الذي بين أيدينا ديوان المرحلة العدنية (**سحرُ عدن وفخرُ اليمن**) المرحلة الثانية. أما ديوان المرحلة الثالثة «المرحلة الحجازية» (**صبا نجد وأنفاسُ الحجاز**) فهو تحت الطبع الآن.

ويبقى شعر المرحلة الرابعة والنهائية وهو شعر «**المرحلة المصرية**» الذي يوازي شعره في المراحل الثلاث الأولى فيشكل ديواناً ضخماً، فهو أيضاً قيد الجمع والإعداد لعله يصدر مستقبلاً في مجلد كبير أو ضمن مجموعة أعمال باكثير الشعرية الكاملة بتوفيق الله.

أقام علي أحمد باكثير في (عدن) حوالي عشرة أشهر، إذ وصلها قادما من المكلا حزيناً ومهموماً ومريضا بعد ما يقرب من شهر على وفاة زوجته الشابة التي أحبها حباً عظيماً وفجع بموتها مما أورثه حزناً مقيماً رافقه طوال حياته، ولكن في الوقت نفسه كان يحمل بين جنبيه قلبا يجيش بالآمال الكبار والطموحات العريضة وفي رأسه عقل مستنير لم تستطع ثقافة الجمود على القديم المتوارث في حضرموت أن تستوعب أفكار التجديد التي دعا إليها. ولهذا رأى الشاعر الشاب أن الظروف جميعاً قد اتحدت عليه لتعينه على الخروج من حضرموت و الضرب في الأرض، فكان محظوظاً حين كانت (عدن) أول محطة نزل بها في خط سيره، إذ احتفى به أدباؤها وصدحت نواديها الثقافية بشعره ومحاضراته، وربطته برائد حركتها الأدبية والفكرية بها الأستاذ **محمد علي لقمان** (١٨٩٨ – ١٩٦٦م) رابطة صداقة نادرة المثال، ومحبة وثيقة العُرى

لاتخطر ببال، وفي بحر هذه الصداقة النادرة والمحبة العظيمة اغتسل باكثير من دموعه، وتخفف قليلا من أحزانه. وفي ظلال أبوة **لقمان** وأستاذيته وإخلاصه، وصدقه انتعشت آماله وطموحاته وهو ما عبر عنه واعترف له به في نثره وشعره.

فلا عجب أن يكون إهداء هذا الديوان مناصفة بين أعز وأحب مخلوقين عنده زوجته الحضرمية الراحلة **نور سعيد باسلامة** وصديقه العدني الحميم **محمد علي لقمان**. فلا عجب أيضاً أن يضع الشاعر عنوان الديوان مناصفة بين محبته (عدن) في عبارة (**سحر عدن**) وبين **محمد علي لقمان** المقصود بعبارة (**فخرُ اليمن**)، وهو اللقب الذي أطلقه عليه أمير البيان **شكيب أرسلان** الذي كان يرى – هو وغيره من قادة التنوير الإسلامي في العصر الحديث – في **محمد علي لقمان** صورة رائعة لليمن فكراً وثقافةً وجهاداً.

قصة الديوان ومنهج التحقيق:

يحتوي ديوان (**سحرعدن وفخرُ اليمن**) على ما نظمه باكثير من قصائد ومقطوعات في الفترة التي أمضاها في (عدن) وهي حوالي عشرة أشهر، فقد وصل (عدن) قادماً من المكلا بحضرموت عبر البحر في ٢١/ ٢/ ١٣٥١هـ الموافق ٢٥/ ٦/١٩٣٢م، وغادر (عدن) إلى الحجاز بالمملكة العربية السعودية في ٢٩/١١/١٣٥١هـ الموافق ٢٥/٣/١٩٣٣م، وذلك وفق وثيقة سفر حكومة الشحر والمكلا (السلطنة القعيطية الحضرمية فيما بعد) التي وصل بها (عدن) وجواز السفر الهندي البريطاني الذي خرج به من (عدن) إلى الحجاز.

لم تنشر معظم قصائد هذا الديوان من قبل، وقد وجدتها مخطوطة في دفترين من دفاتر المدارس في (عدن) آنذاك بخط باكثير الجميل الذي يجمع بين الخط المرسوم والفارسي، وذلك عندما مكنني الأستاذ **عمر عثمان العمودي** – رحمه الله – زوج السيدة **إجلال محمد لطفي** ربيبة باكثير من الإطلاع على محتويات مكتبه في صيف سنة ١٩٩١م، حيث عكفت عدة أيام على ذلك، وعثرت على كل تراثه المخطوط ومراسلاته واكتشفت أن باكثير لم يترك شاردة أو واردة من الورق الذي يتصل بحياته وأدبه إلا واحتفظ بها. أما الجزء الآخر من قصائد هذا الديوان وهي القصائد المنشورة فقد وجدت بعضها في محتويات مكتبه وحصلت على البعض الآخر من مصادرها، وكان قد أرسل من (عدن) عدة قصائد للصحف والمجلات الوثيق الصلة بأصحابها في مصر مثل **محمد توفيق دياب** (جريدة الجهاد) و**محب الدين الخطيب** (مجلة الفتح)، ولبعض الصحف العربية الحضرمية في المهجر الشرقي مثل **أحمد عمر بافقيه** (جريدة العرب) في سنغافورة و**أحمد عبد الله السقاف** (مجلة الرابطة العلوية) بإندونيسيا.

ولا أستطيع الجزم بأن هذا الديوان قد احتوى على كل شعر باكثير في المرحلة العدنية، فربما تكون هناك قصائد نشرت في صحف ومجلات لا أعلم عنها، وقد لا تكون هذه القصائد المنشورة من النصوص المخطوطة التي عثرت عليها، خصوصاً أنني عثرت على قصائد منشورة ليس لها أصول بخطه. وكانت مراسلاته من (عدن) خاصة تلك الرسائل التي كان يكتبها تباعاً إلى أخيه **عمر أحمد باكثير** – رحمه الله – في حضرموت خير عون لي في التعرف على المجلات و الصحف التي كانت تنشر له

قصائده. ولما كانت الرسائل التي بحوزتي ليست كل الرسائل التي بعثها الشاعر لأخيه **عمر أحمد باكثير** الذي أهداني هذه المجموعة التي لديَّ عندما زرته في منزله بمدينة سيئون في صيف ١٩٨٠م فإنه - بلا شك - لاتزال هناك رسائل لم أطلع عليها، وقد أبلغني الأستاذ **علي عمر باكثير** أن والده ترك بحوزته قبل وفاته مجموعة رسائل وعدني بصورة منها، وبالوقوف عليها لعلي أعثر على مصادر جديدة لقصائد تضاف إلى الطبعة الثانية من هذا الديوان أو إلى مجموعة أعماله الشعرية الكاملة.

ولكي تتم الفائدة ويتعرف القارئ والباحث على مدى اهتمام باكثير بقضايا اليمن – وطنه الأول – ومتابعته لها بمشاركته الوجدانية فيها بعد استقراره في مصر، فإني أضفت في آخر هذا الديوان أربع قصائد تخص أهم ما مر باليمن شمالاً وجنوباً من أحداث بعد ذلك، فأولها النشيد الذي كتبه لثورة ١٩٤٨م قبل فشلها بعنوان « اليمن الخضراء »، وأرسله إلى « الأحرار اليمنيين » في (عدن) عن طريق صديقه **محمد علي لقمان**، وثانيها قصيدة « ملك يموت وأمة تحيا »، التي كتبها بعد إعلان نبأ وفاة الإمام **يحيى حميد الدين**، وثالثها قصيدة « ابتسمي لتحياة صنعاء » في تحية ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، ورابعها نشيد « يا دولة الجنوب » الذي كتبه بمناسبة رحيل الاستعمار عن (عدن) واستقلال جنوب اليمن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، ومقطوعة قصيرة بعنوان « تحية للجنوب المستقل ».

أما المنهج الذي اتبعته في تحقيق هذا العمل وإعداده للنشر فقد تمثل في خدمة الديوان من عدة اتجاهات. فما يتصل بنصوص القصائد فقد كان لبعض القصائد أكثر من نص، فإن كانت القصيدة مخطوطة فإني أختار أوضح النصوص بصفتها الشكل الأخير الذي ارتضاه الشاعر، وهناك

قصائد حذف الشاعر بعض أبياتها فإذا لم أجد سبباً فنياً لحذفها أبقيتها شاهداً تاريخياً على فكر الشاعر، وفعلت الشيء نفسه بالنسبة للقصائد المنشورة التي وجدت لها نصوصاً بخطه اخترت النص الكامل للقصيدة الذي غالبا ما يكون النص المخطوط.

لم ألتزم في ترتيب قصائد الديوان بمنهج تسلسل القوافي، إذ أن هذا المنهج لا يفيد القارئ أو الباحث بشيء، فقمت بترتيب القصائد حسب تواريخها، وأعانني على ذلك أن بعض القصائد مذيلة بتواريخها وبعضها الآخر استنتجت تواريخها من أحداث موضوعاتها، ولما كان الشاعر يكتب لأخيه **عمر** كل أسبوع عن ما نظمه من قصائد فقد زودتني هذه الرسائل بتواريخ ما تبقى من قصائد. أما القصائد المنشورة فإن لم أجد لها تاريخاً على النص المخطوط كتبت عليها تاريخ النشر، فإن كان لها تاريخ نظم وتاريخ نشر ذيلت القصيدة بتاريخ النظم مثلما فعلت مع كل القصائد ووضعت تاريخ النشر ومكانه في الهامش. وهذا المنهج في ترتيب القصائد وفق تاريخ نظمها أو نشرها سيكون أكثر فائدة وعوناً للقارئ والباحث على تتبع أحداث موضوعات القصائد وفهم مناسباتها فضلاً عن أنه يسهل به على الدارس رصد التطور الفني والفكري للشاعر، وهي خدمة لا يؤديها ترتيب القصائد وفق قوافيها.

ولم يخل هذا الديوان من آثار ثقافة الشاعر الأولى وآثار المعجم اللغوي القديم الذي سيطر على شعره في المرحلة الحضرمية التي تمثلت في ديوانه الأول (**أزهار الرُّبا في شعر الصبا**)، لهذا لجأت إلى شرح الألفاظ في الهوامش إذ لم تخلُ قصيدة من الحاجة إليه.

ثم وجدت نفسي ملزماً بتقديم تراجم للأعلام وتعريف بالأحداث والأمكنة وربما شرح معاني بعض الأبيات، وهو أمر ضروري لديوان نظمه صاحبه سنة ١٩٣٢م، أي قبل ٧٦ عاماً، من تاريخ كتابة هذه المقدمة ومعظم قصائده مرتبطة بشخصيات وأحداث ومواقف عاشها الشاعر يصعب على القارئ المعاصر الوعي بها دون تعريف بها في الهوامش، وقد تعمدت الإطالة في تراجم الأعلام اليمنية لعدم توفر تراجم لبعضها في الموسوعات العربية، وفعلت الشيء نفسه مع الأحداث والأمكنة والمنظمات ومعظمها يخص (عدن)، وقد أعانني في ذلك مشكوراً صديقي الباحث المعروف **الدكتور علوي عبدالله طاهر** الأستاذ بجامعة عدن.

أما الأعلام العربية والعالمية فاكتفيت بتراجم قصيرة لها إلا ما كان له صلة مباشرة بالقصيدة. كما اجتهدت أيضاً في التعرف على الأعلام المشار إليها ضمناً لا صراحة في متن القصائد بتقديم تعريف بها في الهامش يخدم الهدف من ذكرها في القصيدة. ويمثل ذلك تم التعريف بالمناسبات والأحداث التاريخية التي ارتبطت بنظم بعض القصائد مما يعين القارئ والدارس على فهم هذه القصائد فنياً وفكرياً في إطار الظروف التاريخية التي نظمت فيها. وبهذا لا يكون هذا الديوان سجلاً فنياً للشاعر فحسب بل هو تاريخ وجداني للأحداث الثقافية والاجتماعية والسياسية في (عدن) خاصة واليمن والجزيرة العربية عامة وتأثيرات العالم من حولها عليها.

اهتمامات الشاعر وقضايا الديوان:

عبّر علي أحمد باكثير في هذا الديوان عن قضايا وهموم واهتمامات عدة، منها ما هو امتداد لما شغل تفكيره ووجدانه منذ كان في حضرموت

وظل يشغله أثناء وجوده في عدن، ومنها ما استجد من أحداث على مستوى الجزيرة العربية وعالمه العربي والإسلامي سياسياً وفكرياً وثقافياً.

أما الحيز الأكبر الذي شغل هذا الديوان فقد كان بحق سجل وجداني ولوحات رائعة للحياة الثقافية في (عدن) من منتصف سنة ١٩٣٢م إلى منتصف سنة ١٩٣٣م، وما شهدته من أنشطة شارك فيها الشاعر بشكل حميم، وكان موضع احتفاء وتقدير أدباء (عدن) ومثقفيها آنذاك.

وتتبلور القضايا الأساسية التي تعرض لها هذا الديوان في ما يلي:

- تعليمه وثقافته وتكوينه العقدي.
- مأساة وفاة زوجته الحضرمية.
- الصداقة والمحبة والإعجاب بشخصية محمد علي لقمان.
- حبه عدن الوطن والإنسان.
- معالجته لهموم الحضارم في الوطن والمهجر.
- سر إعجابه ومحبته للملك عبدالعزيز.
- الدعوة المبكرة للتحالف بين اليمن والسعودية.
- تفاعله مع الأحداث الكبرى في اليمن من مصر.

والآن فلنقف عند كل موضوع من هذه الموضوعات بشيء من التفصيل الذي يخدم ما يخصه في هذا الديوان، لكي يكون القارئ على وعي بالخلفية الوجدانية والفكرية والتاريخية سياسياً واجتماعياً لكل قصيدة.

■ تعليمه وثقافته وتكوينه العقدي:

لم يولد علي أحمد باكثير في حضرموت، وإنما ولد في أقصى الشرق، بالمهجر الحضرمي الكبير إندونيسيا، بمدينة سورابايا في ١٩ ذي الحجة

١٣٢٨هـ الموافق ٢١ ديسمبر ١٩١٠م، وكان والده المحسن الكبير الشيخ **أحمد بن محمد باكثير** (١٢٧٥-١٣٤٣هـ/١٨٥٨-١٩٢٥م) واحداً من عشرات الآلاف الذين هاجروا من حضرموت إلى شرق آسيا طلباً للرزق الحلال فاستطاعوا بأمانتهم ومعاملتهم الحسنة رسم القدوة التي جذبت أهل تلك البلاد للدخول - طواعية - في الإسلام أفواجاً.

تلقى شاعرنا تعليمه في إحدى المدارس العربية الإسلامية هناك، وفي سن العاشرة أرسله والده إلى مدينة سيئون بحضرموت ليكمل تعليمه وتربيته بين أهله وإخوانه على يد عمه العلامة الشيخ **محمد بن محمد باكثير** (١٢٨٢.١٣٥٥هـ/١٨٦٥-١٩٣٦م) فأظهر نبوغاً في استيعاب علوم النحو والصرف والعروض وفهم المتون وميلاً قوياً نحو الأدب والشعر حيث بدأ ينظم الشعر وهو في سن الثالثة عشرة من عمره.

ثم استكمل دراسته في مدرسة النهضة العلمية بسيئون التي التحق بها منذ تأسيسها سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م، وكان والده من مؤسسيها، وتخرج منها بتفوق سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م، وما لبث أن وقع عليه الاختيار لنبوغه المبكر ووعيه الإسلامي وسعة ثقافته ليكون مديراً لهذه المدرسة سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

اتصل باكثير في هذه السن الباكرة بالمدرسة السلفية المستنيرة في مصر من خلال **السيد محمد رشيد رضا** صاحب مجلة «المنار» والأستاذ **محب الدين الخطيب** صاحب مجلة «الفتح» فاستوعب من خلالهما منهج «العروة الوثقى» التي أصدرها السيد **جمال الدين الأفغاني** والإمام **محمد عبده** في باريس فاستوعب فكرها، وتأثر بدعوتهما إلى الجامعة الإسلامية وإلى التغيير بالتربية والتعليم وإلى انفتاح المسلمين على روح

العصر ونبذ الأوهام والخرافات وما علق بالدين من بدع، والعودة الحقيقية لجوهر الإسلام كما جاء في كتاب الله والسنة النبوية الشريفة وأفعال الصحابة الأكرمين، والعض عليها بالنواجذ، فما أدخل على ديننا مما ليس فيه فهو رد.

وانعكس هذا الاتجاه نحو الإصلاح والتجديد على أسلوب إدارته لمدرسة النهضة العلمية ومناهجها، فقد كانت هذه المدرسة تقتصر على تدريس الفقه والحديث والنحو بأسلوب الحشو والحفظ الذي لايتفق مع سن التلاميذ وقدراتهم على الفهم، فانتقد ذلك.

واستطاع أن يبّسط أسلوب التعليم ويدخل المناهج الحديثة في التدريس التي تجعله واحداً من أوائل رواد تحديث وإصلاح التعليم لا في حضرموت فحسب بل في اليمن كله فأضاف مواد التاريخ والجغرافيا والإنشاء والأدب شعراً ونثراً لتدريس جنباً إلى جنب مع مواد التلاوة والحديث والفقه والنحو في مدرسة النهضة العلمية بسيئون فثار عليه الجامدون وعدّوا ذلك خروجاً على منهج أسلافهم وخروجاً عن ما تعودوا عليه في تعليم الأبناء وأوغروا عليه صدور العامة، وكانت بالنسبة لبعضهم فرصةً للنيل من هذا الشاعر الشاب الذي جاء يبشر بأفكار جديدة تأثر بها من خارج بيئته، فكان رده عليهم:

أنا لم أدع إلى غير الهدى وإلى غير نهوض المسلمين
أنقمتم دعوة الناس إلى سُنَّة المختار خير المرسلين

ونظم باكثير شعراً كثيراً في هذه المرحلة من حياته يُعبِّر فيه عن رسالة التجديد والإصلاح الذي يتمناه لوطنه المغلق حضرموت، وختم هذه الرسالة بإصدار مجلة شهرية أطلق عليها اسم «التهذيب» فكان الطابع

العام للمجلة سواء من حيث الموضوعات أو الاستشهادات والمأثورات التي ترد في قضاياها تدل على مدى تأثره بروح مجلتي «العروة الوثقى» و«المنار». وهنا لايعدم الدارس لحياة باكثير وفكره في حضرموت أوجه التشابه بينه وبين **محمد رشيد رضا** في المعالم البارزة لاتجاههما الإصلاحي المتمثل في محاربة البدع وحث الناس على التخلي عن التوسل بأصحاب القبور، ودعوتهم إلى التوجه لله وحده. وقد أكد لي هذا التأثر المجلدات العديدة من مجلة «المنار» التي وجدتها في منزله الذي بحضرموت والحواشي والتعليقات الموجودة على بعض صفحاتها بقلمه التي تدل على أنه وجد في «المنار» ما وجده أستاذه **محمد رشيد رضا** في منهج الإمام **محمد عبده** وهو أن إصلاح الأمة يأتي أولاً من خلال تصحيح العقائد ومن خلال العناية بالتربية والتعليم، وحول هذين الهدفين دارت معظم موضوعات مجلة «التهذيب» التي صدرت منها عشرة أعداد، كان عددها الأول في ١٠/٨/١٣٤٩هـ الموافق ٣٠/١٢/١٩٣٠م. وعددها الأخير في ١٠/٥/١٣٥٠هـ الموافق ٢٢/٩/١٩٣١م، فكان ذلك خاتمة جهوده الإصلاحية قبل مغادرته (حضرموت) إلى (عدن).

وسنجد أن هذه المفاهيم والمؤثرات جميعاً موجودة في قصائد هذا الديوان فهو يذكر الإمام **محمد عبده** في رثاء **حافظ إبراهيم** ويشيد بدور **جمال الدين الأفغاني** و**محمد عبده** معاً والتكامل الذي شكلاه في «قصيدة بطل التذكير» حين يقول:

وقفتُ بين رسوم الدين أندُبه وقوف باكٍ على آثار مُرتحلِ!
وقلتُ: لولا (جمال الدين) قام به لما وقفتُ على رسمٍ ولا طللِ
ولو تخلف عنه (عبده) نفساً لطَارَ طائرهُ من قبضةِ الأملِ

وفي القصيدة نفسها يدافع عن العقيدة السلفية النقية، ويرفض تهمة تعيير دعاتها بالوهابية:

والمصلحون إذا ما ذَكَّروا اتُّهموا ... من ماجن عزلٍ أو شاربٍ ثملِ
يُعيَّرون (بوهابية) خَلُصتْ ... أنقى من اللبن السَّلسَالِ والعسلِ
وبينهم علماءالسُّوءِ في دَعَةٍ بالدجلِ ... عن واجب التذكير في شغلِ

ويكشف عن سر إعجابه **بالملك عبدالعزيز آل سعود**. هذا وهو في (عدن) قبل أن يذهب للحجاز. وسر هذا الإعجاب التوجه السلفي الذي تدعمه الدولة السعودية لهذا نجده يسخر في قصيدة «يا من لليل العرب طال» من الذين اعترضوا على هدم القباب في الحجاز:

هدم (السعودي) القُباب ... فضج منه الدينُ يجأر
وهل الديانةُ غير أبنية ... على الموتى تُعمَّر؟!
فالاحتلال أخفُ وطأةً ... من هدم القُباب لمن تفكَّر!!

ونجده يتكئ في أكثر من قصيدة من قصائده في (عدن) على الدعوة التي إنشغل بها أثناء وجوده في حضرموت، وهي الحض على طلب العلم والتجديد ونبذ الجمود.

■ مأساة وفاة زوجته الحضرمية:

ألقت مأساة وفاة زوجته الحضرمية الشابة عليه بظلالها طوال حياته، وظل أثرها موجوداً في أعماله الأدبية إذ تسللت من شعره إلى مسرحياته التي كتبها بعد استقراره في مصر. فلا عجب أن يكون حضورها قوياً في هذا الديوان الذي بدأ في نظم قصائده في (عدن)

بعد أقل من شهر على وفاتها في حضرموت.

أحب الشاعر الفتاة **نور سعيد باسلامة** منذ صغرها، وتغنى بها في شعر صباه بحضرموت وظل ينتظرها ويصرح باسمها:

يا (نور) عيني يا حياتي يا ... من لا أنيط بغيرها فكري
إني عشقتك في الطفولة حيث ... القلب صاف والهوى فطري
يا بنت خير أب لأنت مُنى ... قلبي وبُغيته ألا فادري

ولكن أمنية زواجه من (**نور**) لم تتحقق بسهولة. فقد كاد له الكائدون، ووضع المعارضون لأفكار الإصلاح والتجديد التي يدعو لها في طريقه العقبات، ووصل لوالدها المهاجر في إندونيسيا ما يجعله يتردد في القبول به، وشاعرنا العاشق يتألم ويتحرق ويهتف:

ما كان أطيب عيشتي ... لو اتصلت بـ (نور)
هي الجلاء لهمي ... وبهجتي وسروري

ثم يقسم في ديوان شعر المرحلة الحضرمية بأغلظ الإيمان أنه لا يرغب في سواها، وسيقف دون كل الحواجز التي تقف بينه وبينها. وسيذلل العقاب مهما كبرت:

والله والعلم والهدى ... والكتاب البشير
والنجم والفجر والعصر ... والضُحى والطور
وكتب (موسى) و(عيسى) ... و(أحمد) والزبور
لأنت مُنية نفسي ... من بين كل البدور

ويضطر شاعرنا العاشق إلى السفر لإندونيسيا سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م للقاء والدها والاستعانة بوالدته التي شده الشوق إليها، ويبقى عاماً أو

أكثر هناك ليعود بالموافقة على الزواج من محبوبته الذي تم في غضون سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م. وعاش شاعرنا مع زوجته الحبيبة ما يقرب من أربع سنوات كانت أسعد سنوات حياته على الإطلاق، أنجبت له طفلة أطلق عليها اسم **خديجة**، فكانت ابنته الوحيدة التي لم يرزق بعدها بغيرها قط. وما كاد العام الثالث لهذا الزواج السعيد ينقضي حتى تُبتلى هذه العروس الشابة بمرض عضال يقصدها ويطول بها فينهار إلى جوارها زوجها الشاعر الرقيق ويتأثر نفسياً وجسدياً، ولم يستطع أن يحتمل رؤية حلمه الذي تحقق يذوي أمامه ويموت، فشجعه أهله على مغادرة سيئون بعد أن شعروا أن حال الفتاة تسير إلى أسوأ وحاله معها يسوء، فخرج هائماً على وجهه في وديان حضرموت وأمضى أياماً في بلدة القطن مكباً على مكتبة صديقه السلطان **علي بن صلاح القعيطي** (١٣١٥-١٣٦٧هـ / ١٨٩٨-١٩٤٨م) لعله يسلو همه.

يغادر الشاعر إلى بلدة حريضة ليحاول الغرق في مكتبة السيد العلامة **أحمد بن حسن العطاس** (١٢٥٧-١٣٣٤هـ / ١٨٤١-١٩١٦م) لعله ينسى ولكنه لم يستطع بل كان قلبه يتمزق إرباً إرباً على الحبيبة المريضة التي تموت ببطء في سيئون، وفي هذه الأثناء يصعق بخبر وفاتها الذي حدث في ١٥/١/١٣٥١هـ، الموافق ٢٠/٥/١٩٣٢م، ويقول: «لن أعود إلى بلاد ماتت فيها نور» كما ذكر في إحدى رسائله لأخيه **عمر** بحضرموت فيواصل السير إلى المكلا حيث يستخرج لنفسه وثيقة سفر ليبحر إلى (عدن) مثقلاً بالأحزان والآلام والدموع، ينازعه شوق إلى ابنته **خديجة** التي أطلق عليها هذا الاسم وفاءً لزوجة أبيه **خديجة** التي أغدقت عليه في حضرموت من حنانها حباً، وكانت له نعم الأم بعد مفارقته أمه في إندونيسيا.

فلا عجب إذن أن يجعل إهداء هذا الديوان مناصفةً بين زوجته الحبيبة **نور سعيد باسلامة** وبين صديقه الحميم الأستاذ **محمد علي لقمان** فيعبر في هذا الإهداء عن عمق مصيبته برحيل **نور**، وما تركه ذلك على نفسيته من آثار أورثته حزناً مقيماً إذ يقول في إهدائه: «**إلى روح لا أسميها، لحقت بباريها، وتركتني أرثيها وأبكيها في آلام أغانيها، وهموم أقاسيها، وهوة من اليأس أتردى فيها**».

ونصيبها في هذا الديوان (بكائيات الحب) في أربع مقطوعات «الحب والانتظار» و«الحب والإيمان» و«الحب والموت» و«الحب والذكرى» وهي لوحات وجدانية لقصة عذاب الحصول عليها، وقصة اختطاف الموت لها منه سريعاً الأمر الذي جعله يدخل في عذاب آخر لا لقاء بعده في الدنيا، فكان أمل اللقاء بها في الآخرة موضوعة الأثير في قصائده التي نظمها بعد وفاتها طوال مراحل حياته إبتداءً من (عدن) مروراً بالحجاز وصولاً إلى مصر، فنجده يقول في مقطوعة (الحب والذكرى):

حبيبةُ قلبي لا تخافي وتحزني … فلابد من لُقيا وإن بعد السفر
بحيث يطيب العيش خُلدٌ بلا فنا … وأنس بلا هم وصفو بلا كدر
يُظللنا الرضوان من ربِّنا فلا … نرى سخطاً منه وذا مُنتهى الوطر
إلى الملتقى يا ربة الحُسن والرضى … إلى المُلتقى يا ربة الطهر والخفر

ثم نجد هذه الحبيبة الراحلة تتسلل إلى الكثير من قصائد هذا الديوان وتفرض نفسها على موضوعاته حتى ولو كانت سياسية على نحو ما نجد في افتتاحية قصيدة (يا من لليل العرب طال) التي نظمها في نصرة **الملك عبدالعزيز آل سعود** أثناء حربه على الخارجين عليه إذ يقول:

خفقَ الفؤادُ بما تذكَّرَ ... فالنومُ عن جفني منفَّرْ
يا ليلُ رفقًا بالغريبِ ... نبا به وطنٌ ومعشرْ
خطفَ الزمانُ حبيبهُ ... وأذاقه الملحَ المصُبَّرْ!
فمضى يجوبُ الأرضَ جو ... باً علَّه يسْلُو فيُؤجرْ

وعندما وصل إلى (عدن) تلقى قصيدة شوق من رفيق صباه وابن عمه في حضرموت الشيخ **عمر بن محمد باكثير** فيرد عليه بالتطرق إلى مصيبته في وفاة زوجته الحبيبة بصورة تنبض بالألم وتقطر مرارة، وتفيض بهول المأساة:

سلامٌ على قبرٍ كريمٍ لصاحبٍ ... نعمتُ به دهرًا وتهتُ به عصرا
بنيتُ به قصرًا مشيدًا من المُنى ... فشُلَّتْ يدٌ للدهرِ هدَّمت القصرا
رُزئتُ به رزءًا لو أنَّ عظيمهُ ... على جبلٍ لاندك أو كوكبٍ خرَّا
تلقَّتهُ نفسي فاستمرَّ مريرُها ... عزاءً، وجُثماني فضاق به أمرا

ويتلقى وهو في (عدن) خبر وفاة شاعريه الأثيرين **حافظ إبراهيم** ثم **أحمد شوقي** بعده بقليل، فيشعر وكأن الموت يطارده في أحبابه وأعزائه ليس في حضرموت فقط بل في (عدن) ومصر ، فقد رزء في حضرموت قبل وفاة زوجته بعدد من أفراد أسرته في مقدمتهم والده، لهذا نجد وفاة **حافظ وشوقي** تجدد مواجعه وأحزانه فينظم في رثائهما أطول قصيدتين في هذا الديوان، وهو في الرثاء أطول نفساً وأطول باعاً من كافة أغراض الشعر، فلا عجب أن يخاطب بنات النيل في رثائه لشوقي، ويحدثهن عن مصيبته بفقد حبيبته، ويشكو سقمه وغربته:

يا بناتِ النيلِ أسعدن أخا ... غربةٍ لوَّحةُ طول السفرْ
شرقاً بالدمعِ أهدينَ له ... من نميرِ النيلِ كفًا يُعتصرْ!
(حضرموت) داره حيث التقتْ ... باسقاتُ النخل فيها والسِّدرْ
حيث أنفاسُ الصَّبا باردةٌ ... والهواءُ الطلقُ والماءُ الخصرْ

ثم يحدثهن عن حبيبته الراحلة، ويقارن بينها وبينهن بإظهار تميزها عنهن بالحياء والخفر، ثم يذكر حزنه لوفاة **حافظ وشوقي** وضياع أمنيته في أن يلقاهما بمصر:

خطف الدهرُ بها من يده ... زهرةً منكنَّ في العُمرِ النَّضرْ
ماثلتكُن جمالاً وُحلىَ ... وتَسامتْ بحياءٍ وخفر
فانبرى ينشدُ في (مصرَ) العزَا ... فإذا (مصرُ) عليه تستعرْ
سلبتْ (حافظها) في غِرّةٍ ... ثم (شوقيها) بلمحٍ من بصرْ
كم تمنيتُ بأن ألقاهُما ... فأرى الوالدَ والعمَّ الأبرّ

كما نجد محبوبته الراحلة بارزة الحضور في قصائده لأصدقائه المقربين في (عدن) أمثال **محمد علي لقمان** و**عمر محمد محيرز** (١٩١٠-١٩٨٢م)، إذْ يُذكِّره بها حنان صديقه **محمد علي لقمان** وعطفه عليه واهتمامه به عندما أصيب بالحمى غداة وصوله (عدن) .

وعندما يبعث إليه صديقه الأستاذ **عمر محمد محيزر** - وهو في (عدن) - بقصيدة يحييه فيها، فيرد عليه بقصيدة يتذكر فيها أجمل أيام حياته مع محبوبته بداره التي أطلق عليها اسم « دار السلام » في سيئون بحضرموت، فيقول له:

قدحتَ زنادَ الهوى في الفؤادِ ... فأصبح بعد الخُبُوِّ اشتَعلْ
وذكَّرتني بعهودِ الصبا ... وأيامي السالفاتِ الأُولْ
ومرتَع لهوي (بدارِ السلام) ... ومُنتزهي بين تلك الحِللْ
ومُنتقلي في سني الوصلِ بين ... سنينِ الرضى وشهورِ العسلْ!
(بسيئون) حيثُ الهواءُ الطليقُ ... وطيبُ الغدايا وحُسنَ الأُصلْ
وحيثُ أحبتي النازلونَ ... بقلبي من قبلِ ذاك المحلْ
ألا ليت شعريَ كيف انطوى ... زمانُ السُّرور وكيفَ اضمحلْ
ومن يتذكرُ أيامهُ ... فهلْ يملكُ الدمع أن يستهلْ؟!

■ **الصداقة والمحبة والإعجاب بشخصية محمد علي لقمان:**

ربطت علي أحمد باكثير برائد النهضة الثقافية في (عدن) الأستاذ **محمد علي لقمان** علاقة أخوة وصداقة ومحبة نادرة المثيل، فقد تعلق كل واحد منهما بالآخر حتى صعب عليه أن يميز نفسه عن صاحبه، وهذه حقيقة أبعد ما تكون عن المبالغة إذ لم تكشف عنها قصائد باكثير في صاحبه **لقمان** فحسب بل عززتها بقوة أكثر وأكبر نوع المراسلات التي دارت بينهما بعد افتراقهما، وهو ما سأصدر عنه كتاباً مستقبلاً تنشر فيه هذه الوثائق. فقد تنبأ **محمد علي لقمان** لباكثير بذيوع الصيت والنجاح الذي تحقق له بعد وصوله مصر، ونظر إليه نظرة الأب إلى ابنه والأستاذ إلى تلميذه النابغة ولما كان فارق السن بينهما اثنتي عشرة سنة، ظل يزوده بالنصائح الصادقة المخلصة ويشيد بعبقريته وعظم محبته له في كل ما كتبه له من رسائل.

فلا عجب أن يعبر باكثير في هذا الديوان عن ما يكنه من محبة وإعجاب وامتنان لهذا الأستاذ الذي توافق معه في الميول والأهداف على المستوى الشخصي والوطني والعربي والإسلامي، فكان **محمد علي لقمان** شريك أعز الناس إليه، زوجته الحضرمية الراحلة، في إهداء هذا الديوان، وكانت كل جملة من جمل الإهداء تعبر بصدق عن حقيقة الموقف الذي وقفه **محمد علي لقمان** معه حين وصل (عدن) مريضاً حزيناً يائساً قلقاً ومضطرباً، فجاءت كلمات الإهداء:

« ... **وإلى صديقي الحميم الكاتب العظيم الأستاذ محمد علي إبراهيم لقمان الذي رزقني الله به عافيةً بعد بأس، ورجاء بعد يأس، وعزاءً بعد حزن، وطمأنينة بعد قلق، وسكوناً بعد اضطراب** ».

وبالفعل كان **محمد علي لقمان** كما وصف، وكان أضخم شخصية في هذا الديوان، وصاحب نصيب الأسد فيه، فله عدَّة قصائد خاصة به، وهو المثل الأعلى في قصائده الأخرى إذا أحب أن يضرب مثلاً للصداقة والأخوة، فعندما يصاب بالحمى يجد حوله **محمد علي لقمان** يعتني به ويحوم حوله بحنان يذكره بمحبوبته الراحلة، فيقول في قصيدة « يا سيدي لقمان ».

وليس سوى حنوك هاج شجوي ... وما أبديت من عطف ولين
ذكرت حبيبتي فهفا بقلبي ... تذكرُ تلكُم الرُّوح الحنون

ثم عندما يهديه صديقه **محمد علي لقمان** صورة له التقطها مصور عدن المشهور آنذاك السيد **محمد مكي أفندي** ينظم عليها قصيدة بعنوان: « رسم محمد علي لقمان » تعد فنياً إرهاصاً بالتجديد الذي أحدثه في القصيدة العربية فيما بعد، إذ نظمها على أوزان مختلفة متنوعة البحور

على طريقة الموشحات الأندلسية. وعندما يكتب نشيدًا لنادي الإصلاح الإسلامي بالشيخ عثمان يشيد بالنهضة التي يقودها **محمد علي لقمان** في (عدن):

وحسبكُمُ بـ (لقمان) زعيماً طاهر الذات
وحسبكُمُ بـ (لقمان) خطيباً في الجماعاتِ
يقيم النهضة الكبرى بعزمٍ قاهرٍ عاتِ

ثم تضطر **محمد علي لقمان** ظروف عمله أن يسافر إلى الصومال فيأبى باكثير أن يبقى بدونه في (عدن)، فيسافر معه، لكنهما يفترقان من حين لآخر داخل الصومال لحاجة **لقمان** للتنقل من مدينة لأخرى، وسرعان ما يشتاق باكثير لصديقه **لقمان** فيبعث إليه بأبيات من (هرقيسة) إلى (بربرة) بعنوان «حنانيك يا لقمان»:

قسماً ما لنا سواك ملاذ فحنانيك أيها الأستاذُ
لو تعطفت فانثنيت إلينا لاستتب لنا المُنى والملاذ

ثُم يكتب له قصيدة أخرى طويلة بعنوان: «ادكارك يا لقمان أشجاني» يعبر فيها عن شدة شوقه إليه، ويتحدث عن فضله عليه، وامتنانه له:

في ذمة الله خلاًّ قد سلوتُ به مصائبَ الدهر لما أن تولاني
لُقِّيتهُ نضْوَ همٍ فالق كبدي وحِلفَ سُقمٍ فداواني وسلاني
مازال باللطف والإشفاق يغمُرني حتى شفاني من دائي وعَافَاني

وينبه أن **محمد علي لقمان** ليس مؤسس النهضة الشماء في (عدن)

وحدها وإنما كانت رسالته أيضاً لنهضة العرب جميعاً، وهو في إيمانه بها وإخلاصه لها يبدو كأنه ملاك أرسله ربه لينفخ الروح في أمته لتحيا الحياة اللائقة بها:

مُؤسسُ النهضة الشماء في (عدن) مقيمُها غير هيابٍ ولاوانِ
كأنه ملكٌ مولاهُ أرسلهُ لينفخ الرّوح في أبناء قحطانِ

ثم يعبر في صورة شعرية رائعة عن مقدار حبه **للقمان** وشوقه إليه:

إني لأذكُرُه والكأسُ عند فمي فأطرحُ الكأسَ من وجد وتحنانِ
فأسأل الله مولانا الكريمَ بأنْ يضم شملي يوماً ما بـ(لقمانِ)

وتدفعه محبته وإعجابه بالأستاذ **محمد علي لقمان** إلى الاهتمام بكل شئونه الخاصة والعامة، فنجد في الديوان مقطوعات تحمل اسم «**لقمان**» في كل عنوان للتعبير عن فرط المحبة مثلما فعل مع اسم (عدن)، فنجد «**رسائل لقمان**»، «**رحلة لقمان**»، «**صابونة لقمان**» «**تعزية لقمان**» و«**شفاء لقمان**».

■ حبه عدن الوطن والإنسان:

أحب علي أحمد باكثير (عدن) وعبّر عن حبه لها بمشاركته الحميمة في الحياة الأدبية بها، وصلاته الوثيقة بأدبائها ومثقفيها، فقد كانت عدن في هذه الفترة سنة ١٩٣٢م تزدحم بزخم من الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية، وقد جعلها ميناؤها العالمي أثناء الاستعمار والبريطاني لها مركزاً تجارياً ومحطة عبور واستراحة لكثير من قيادات التحرير في العالم العربي والإسلامي، وقد ارتبط باكثير وشارك في أنشطة نواديها الأدبية من خلال صداقته للأستاذ **محمد**

علي لقمان محور الحركة الثقافية والفكرية في (عدن) آنذاك .

كان هناك (نادي الأدب العربي) الذي أُسس سنة ١٩٢٥م برئاسة الأمير **أحمد فضل القمندان** (١٨٨٤–١٩٤٣م)، وإدارة الأستاذ **محمد علي لقمان**، وكان هناك (نادي الإصلاح العربي) الذي أُسس على عدة فروع، فرعه الأول أُسس في (التواهي) سنة ١٩٢٩م على يد الأستاذ **عبده غانم** ثم ظهر فرعه الثاني سنة ١٩٣٠م في (الشيخ عثمان) على يد الأستاذ **أحمد محمد سعيد الأصنج** (١٩١٠–١٩٦٩م)، ثم ظهر فرعه الثالث في السنة نفسها في (كريتر) على يد الأستاذ **محمد علي لقمان** .

قادت هذه النوادي الثقافية من خلال أنشطتها الفكرية المتنوعة بأدوار مبكرة لمناهضة الاستعمار في (عدن)، وقد أشار الدارسون لتاريخ هذه الفترة أن علي أحمد باكثير كان من أهم الشخصيات التي دعت إلى مناهضة الاستعمار جنباً إلى جنب مع **محمد علي لقمان** وأحمد **محمد العبادي** (١٨٨٣ – ١٩٦٨م)، حيث ألقى المحاضرات ونظم الأناشيد الوطنية، فنجد له في هذا الديوان ثلاثة أناشيد نظمها لفروع نادي الإصلاح العربي الإسلامي الثلاثة بمناطق (التواهي) و(كريتر) و(الشيخ عثمان)، فنشيد (عدن ثغر جميل) نظمه ارتجالاً أثناء احتفال (نادي الإصلاح) فرع (التواهي) فيقول فيه :

يا بني الإصلاح سيروا للأمام ... وليعش ناديكم في كل عام

سرّني ما شمت في محفلكم ... من وفاق واتحاد ووئام

إلى أن يقول :

(عدن) ثغر جميل ضاحك ... وبنو الإصلاح في الثغر ابتسام

ثم يكتب لنادي الإصلاح العربي الإسلامي فرع (كريتر) نشيده الرسمي بناء على رغبة صديقه الأستاذ **محمد علي لقمان** بعنوان : « أيها الظالم مهلاً » مطلعه :

نحن للعزِ خُلقنا ... نأنف الضيم ونأبى

نحن أبناء رجالٍ ... ملكوا الدنيا غلابا

وقد ذاع صيت هذا النشيد الذي ردده جيل من أبناء نادي الإصلاح في (عدن)، وخُلّد به ذكر باكثير في تاريخ هذا النادي .

وتحت عنوان « نهضة عدن » يرتجل الشاعر نشيداً لنادي الإصلاح فرع (الشيخ عثمان) أثناء أحد احتفالات النادي مطلعه :

بني الإصلاح حييتم ... بأنفاس التحيات

بنيتم للعُلا صرحاً ... ينيف على البنايات

وأهم ثلاثة من رواد الحركة الثقافية في عدن آنذاك - بعد **محمد علي لقمان** - ربطته بهم علاقات وطيدة استمرت إلى ما بعد وصوله مصر وظهرت آثارها في مراسلات شعرية ونثرية هم الأساتذة **أحمد محمد سعيد الأصنج**، والشاعر **عمر محمد محيرز** (١٩١٠ - ١٩٨٢م) والشاعر**محمد عبده غانم** (١٩١٣ - ١٩٩٣م) وهم جميعاً في سن واحدة مع باكثير ما عدا **محمد عبده غانم** الذي كان أصغر سناً .

وذكر باكثير الأصنج بالاسم في النشيد الذي كتبه لنادي الإصلاح الإسلامي الذي أنشأه في (الشيخ عثمان) حيث يقول :

وللأصنج إعظام ... بأعمال كريمات

مساعٍ سُطرتَ فوق ... جبين الدهر آيات

أما ما بينه وبين محيرز في هذا الديوان فقصيدتين متبادلتين

ومقطوعة بعنوان «وصية محيرز»، ويصف باكثير **محيرز** بالصديق الوفي في رده على قصيدته إذ يقول:

لَنبَّهْتَ من شُهرتي ما خملْ   وأطلعتَ من همتي ما أفلْ

(مُحيرزُ) أنت صديقي الوفيّ   وخِلي الكريمُ وصنوي الأجلْ

وتوجد بحوزتي قصيدة وجهها **محمد عبده غانم** لصاحب الديوان وللأسف لم أعثر على رد باكثير عليها، ولم تكن موجودة حتى لدى **محمد عبده غانم** نفسه الذي قال لي حين قابلته بمنزله في صنعاء في ٢٠ فبراير ١٩٨٩م أنها فقدت منه، ولهذا فإني سأُضمِّن قصيدة **غانم** كتاب وثائق المرحلة العدنية في حياة باكثير الذي سيحتوي على رسائل هؤلاء الرواد إليه في تلك الفترة.

أحب باكثير (عدن) الإنسان والمكان، ووجد فيها مستراحاً خفف عنه بعض حزنه وهمه حتى أحس هناك أن الزمان بدأ يحنو عليه لإحاطة رجالها الأوفياء به وإخلاصهم له، فلا عجب أن نجده يقول:

وما أنس لا أنس عهداً (بشمـ   سانَ) جاءبه الدَّهرُ بعد البُخُلْ

تـنـصَّـلَ دهـري مما جنى   وعُـذرُ زمـانـي عمّا فعلْ

لقيتُ به الأصدقاءَ الكرامَ   دُعاة الصلاح أُساة العللْ

ومن حبه أيضاً لـ (عدن) نجده يحرص على وجود كلمة (عدن) في معظم عناوين قصائده مثل (**عدن ثغر جميل**)، (**عفاف الريح في عدن**) (**في بستان عدن**)، (**على شاطيء عدن**) (**نهضة عدن**) (**مصوَّر عدن**) (**مأساة يهودية أسلمت في عدن**) (**مساجلة أثناء مغادرة عدن**) وقد بلغ حبه لعدن أن عدها مسقط رأسه وسكنه، وهو

الذي لم يسكنها إلا عشرة أشهر فقط إذ يقول في وداعها:

أستـودعُ الـلـه عـدن   مسقط رأسي والسكنْ

أستـودعُ الـلَّـه أبـي   والصِّنو والظبيَ الأغنْ

وكُـلَّ مـن فيـهـا ثوى   وكُـلَّ مـن فيـهـا سكنْ

من فوق (شَمسانَ) إلى   مرسَى البواخرِ والسُّفُنْ

■ **معالجته لهموم الحضارم في الوطن والمهجر:**

يُعدُّ اختلاف الحضارم في مهجرهم الكبير بجزر الهند الشرقية وانقسامهم إلى فريقين متحاربين محوراً من أهم المحاور التي شغلت باكثير في شعره ونثره في مراحل حياته الثلاث الأولى: الحضرمية والعدنية والحجازية. وكان يرى أن الخلاف الذي حدث بين العلويين والإرشاديين قد تدخلت فيه أياد أجنبية تشغلهم عن رسالتهم في خدمة دينهم في تلك البلاد التي أدخلوا إليها الإسلام بالقدوة الحسنة لا بجيوش الفتح خاصةً أن العلويين والإرشاديين جميعاً من أبناء الشعب الحضرمي يدينون بمذهب واحد هو مذهب الإمام الشافعي، وخلافاتهم جانبية لا تمس جوهر العقيدة أو المذهب مثل قضية الكفاءة في النسب عند الزواج وتقبيل الأيدي واستخدام لقب «السيد»، وهي أمور رأى غُلاة السادة العلويون إنها يجب أن تُؤدي لهم وحدهم بحكم نسبهم النبوي الشريف.

وقد ثار على إثر ذلك جدال طويل، ومعارك طاحنة في المجالس والمنتديات وعلى صفحات الصحف وأسست (جمعية الإرشاد) التي انضم إليها كثير من أبناء طبقات المجتمع الحضرمي هناك سنة ١٩١٤م لترفع لواء المعارضة لتلك الدعوة ثم ما لبث العلويون أن أسسوا جمعية

(الرابطة العلوية) سنة ١٩٢٧م، واحتدم الجدل بين الطرفين من أبناء الشعب الواحد والدين الواحد والمذهب الواحد الذين جاءوا فاتحين لقلوب أهل تلك البلاد، ووصل صدى هذا الخلاف إلى قادة الدعوة والإصلاح في العالم الإسلامي، فكتب الأمير **شكيب أرسلان** في مجلة (الفتح) التي يصدرها الأستاذ **محب الدين الخطيب** في مصر، وكتب الإمام **محمد رشيد رضا** في مجلته (المنار)، وكانت (المنار) و(الفتح) من أكبر المجلات الإسلامية آنذاك وأكثرها انتشاراً وتأثيراً، وأرسل **الملك عبدالعزيز آل سعود** مبعوثاً منه، ومن اليمن سافر مفتي حضرموت العلامة السيد **عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف** سنة ١٩٢٧هـ وانضم إليه الشاعر الشاب **علي أحمد باكثير** في محاولة لإخماد الفتنة وتوحيد الصف، ومن (عدن) شارك صديقه داعية الإصلاح الإسلامي الأستاذ **محمد علي لقمان** بعدد من المقالات في الصحف العربية الحضرمية بالمهجر الشرقي مثل (صحيفة العرب) التي أصدرها الأستاذ **أحمد عمر بافقيه** في سنغافورة حيث نشر فيها **محمد علي لقمان** عدة مقالات وقصائد في سنتي ١٩٣١ - ١٩٣٢م أثناء وجود باكثير معه في (عدن) فضلا عن مقالات أخرى بصحف مهجرية غيرها (ذكرها الباحث الأستاذ **محمد أبو بكر باذيب** في كتابه عن **أحمد عمر بافقيه** أحد رواد الصحافة العربية في سنغافورة).

لا عجب إذن أن ينشغل **باكثير ولقمان** معاً بهذه القضية فهي بالنسبة لهما قضية إسلامية في المقام الأول ثم محلية في المقام الثاني لاسيما وهما يعدان نفسيهما من دعاة الإصلاح الإسلامي في بلادهما اليمن، وكانت وجهتي نظرهما متطابقة في هذا الأمر مع وجهات نظر أستاذيهما الإمام

محمد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان بأن وحدة صف المسلمين فريضة تقدم على كل خلاف فرعي، وأن الجدال بالتي هي أحسن يحل كل خلاف، وإن في كلا الفريقين غلاة تجاوزوا الحدود، مع الاعتراف بأن لكل فريق منهما بعض الحق فيما يدعي، وعن هذا الموقف الوسطي المحايد عبّر علي أحمد باكثير في قصائده التي نظمها في (عدن).

وتوجد في هذا الديوان أربع قصائد تتصل بهذا الموضوع أثارتها مناسبات ذكرته بما يحدث من شتات بين أبناء جلدته في إندونيسيا، ففي قصيدة (**صدى قصيدتين**) تعليقاً على قصيدتين من صديقين بالمهجر يتذكر ما حدث في إندونسيا وتثور شجونه وأحزانه فيقول:

هاجتْ بها مني الشَّجون فأسبلتْ ... مني الشُّؤونُ وذابت الأحشاءُ
بين الشعوب تجد في نهضاتها ... لعبت بقومي - جهدها - البغضاء
شطّوا وغالوا في الشِّقاق وبينهُم ... دينٌ، ووحدةُ موطنٍ، وإخاءُ
ظلموا المبادئَ إذ أساؤوا هضمها ... يا للرِّجال المحسنينَ أساؤوا!
إن المبادئَ لا تفيدُ ثمارَها ... ما لم يجذّها الرفقُ والإغضاءُ

وعندما يؤسس إخوانه الحضارم في الحبشة نادياً يجمع العرب هناك باسم (نادي الاتفاق) وينشئون مدرسة عربية إسلامية هناك يُحيّ شاعرنا جهودهم وتوحد كلمتهم، ويذكر الحقيقة التاريخية التي ارتبطت بالهجرة الحضرمية، وهي أنهم هاجروا لطلب الرزق وليس

للدعوة للإسلام فيقول في قصيدة « ولو ثقفت يوماً حضرمياً » :

ألا لـلـه درّكــــمُ رجــالاً ... سعيتمْ للعلا متكاتفينَا

(بنادي الاتفاقِ) قد اتفقتمْ ... على إعلاء شأنِ المسلمينَا

رحلتم تبتغون هناك رزقاً ... فعدتُمْ تنشرونَ هناك دِينَا!

وعندما يقوم علامة عدن الشيخ **محمد سالم البيحاني** (١٩٠٨ - ١٩٧٢م) بالصلح بين الفريقين المتخاصمين من الحضارم في جيبوتي فيجيبه الشاعر ويُحييِّ جهوده بقصيدة طويلة، ويعرج بألم على الفتنة التي كانت لا تزال تشتعل في إندونيسيا، فيذكر المجد العظيم الذي حققه أوائل المهاجرون الحضارم هناك من ثراء وخدمة للإسلام واحترام كاد أن يصل إلى التقديس بين أبناء تلك الشعوب :

أثرى بها قومي وشادُوا دولةً ... للدّينِ طاولت السَّماءَ سُمُوقا

نشرُوا بها (القُرآن) فازدادت به ... مَرأى على المرأى الأنيقِ أنيقَا

لم يُلهِهِمْ همُّ ابتغاءِ الرّزق أن ... يقضوا لدينهم القَويم حقُوقَا

تركوا لهمْ بين الأهالي حُرمةً ... كادُوا بها أن يعبُدُوا المخلوْقَا

على أن المسألة التي شغلته أثناء هذا الصراع هي الخروج بقومه من « الجمود » إلى « الانفتاح » ومن « التقليد » إلى « التجديد »، ومن « الجهل » إلى « العلم »، ويرى أنهم إذا كانوا قد تفوقوا على غيرهم من الشعوب في السابق بالذكاء وحده، فاليوم لا يستطيعون ذلك بدون العلم لهذا يُعزي تراجع وضعهم الاقتصادي في الشرق الأقصى أمام أبناء الشعوب الأخرى التي تسلحت بالعلم:

وجَرَوا بمضمار التجارة سُبّقاً ... لم تستطع بهمُ الشعوبُ لحُوقَا

حتَّى أتى عصر العلوم فأحجموا ... إذ شمّرتْ تلك الشعوبُ السّوقَا

فإذا بها عرفتْ مصايدَ ريحهَا ... وإذا بقومي يُنكرون السُّوقَا

فإذا أضافوا العلم للذكاء استطاعوا تحقيق ما قد يعجز عنه غيرهم لهذا نجده يقول لهم :

مضى زمنُ الجمودِ فودِّعوه ... ووافاكـمْ زمـانُ العاملينَا!

زمــانٌ ليس يعلو فيه إلا ... عصاميٌّ جرَى في السابقينَا

وإن لنا مواهب ساميات ... بني الأحقاف أدهشت القرونَا

ألا فاستعملوهَا في المعالي ... تنالوا في الورى المجدَ الأثينَا

فقد لعبتْ بـأدوارٍ كبارٍ ... جُدُودكُمُ الكرامُ السالفونَا

ولو ثقّفت يوماً (حضرمياً) ... لجـاءك آيـةً فـي النابغينَا

ويكرر المعنى نفسه في القصيدة التالية حين يدعو قومه الحضارم إلى العودة إلى هدي نبيهم ﷺ وترك البدع والجمود ليبلغوا أعلى المراتب بالعلم والنبوغ الذي وهبه الله لهم :

ثوبوا إلى هدي النبيِّ وصحبه ... تجدوهُ سهلاً واضحاً مطروقاً

وعقيدة السلَف النقية إنها ... أقوى وأقومُ حُجّةً وطريقا

واقضوا على البدَعِ المضلّة إنها ... بدَعٌ هوتْ بالمسلمين سحيقَا

هي ضيّعت أوطانهم هي مزقتْ ... سُلطانهم وكيانهمْ تمزيقَا

لو لا جمودُ الحضرميِّ وجَهلهُ ... بلغتْ مواهبُهُ به العيّوقا!!

ويؤكد على الدعوة نفسها في قصيدة طويلة بعنوان « صدى النهضة الحضرمية » بعثها من (عدن) إلى صديقه السيد **طه بن أبي بكر السقاف** (١٩١٠–١٩٦٤م)، حين أصدر مجلة باسم « النهضة الحضرمية »، فنجده يحمل على الجمود والتقاليد ويدعو إلى التجديد والتنوير:

ثوبوا إلى (القرآن) لا يصدُدْكُم ... عنه جحودٌ أو هوىً وجمودُ
وذروا التقاليد العتيقة إنها ... عبءٌ على المتنورين عتيدُ
لا تُنكروا (التجديد) في عاداتكم ... فالعصرُ من آياته التجديدُ

ثم يوجه خطابه إلى صديقه المهاجر في سنغافورة ينصحه بما يتمناه لمجلة النهضة الحضرمية من حيث « الهدف » و« المنهج » و« الأسلوب »:

(طه) عليك من البحار تحيةٌ ... كنسيمُ خلقك نفحُها المودودُ
نوِّه بآداب البلاد مباهياً ... تخفق عليها للفخار بنُودُ
وانشر محاسن (حضرموت) فإنَّها ... للباقيات الصالحات ولُودُ
واندُبْ إلى الإصلاح بالحسنى فلا ... إصلاح حيثُ اللومُ والتنديدُ
وانعَ الجمودَ فنعيُه أشهى إلى ... أسماعنا مما يرنُّ العُودُ!

■ **سر إعجابه ومحبته للملك عبدالعزيز:**

يحتوي هذا الديوان على ثلاث قصائد طوال في نصرة **الملك عبدالعزيز آل سعود** الذي كان آنذاك، في آخر مراحل القضاء

على مناوئيه والخارجين عليه، وتوحيد بلاده وإخضاع كافة نواحيها وقبائلها لدولة واحدة مركزية. فلا عجب – إذن – في إعجاب الشاعر **بالملك عبدالعزيز**، ويتمثل هذا الإعجاب في جانبين الأول هو الجانب الوطني المتمثل في نجاح الملك السعودي في تحقيق أول وحدة عربية في العصر الحديث على معظم أراضي الجزيرة العربية، وقيام أكبر مملكة عربية مستقلة في حين تخضع معظم البلاد العربية والإسلامية للاستعمار أو التخلف أو هُما معاً كما هو حال اليمن آنذاك، فقد كان باكثير يتألم مثل غيره من الأحرار اليمنيين للتمزق الذي تعيشه اليمن بين نصف الوطن المستقل الذي أغلقه الإمام في (صنعاء) وبين (عدن) التي يحتلها الاستعمار أما ما تبقى من هذا الوطن دويلات صغيرة يحكمها سلاطين يتناحرون فيما بينهم كملوك الطوائف. ويتمثل الجانب الثاني في إعجاب باكثير **بالملك عبدالعزيز** الذي أعلن بلاده دولة إسلامية يحكمها شرع الله وحده مما جعلها مؤهلة أن تحل محل دولة الخلافة الإسلامية التي ألغيت وتكون عوض المسلمين عنها، وقضائه على البدع والخرافات.

ولهذا لا يرى باكثير فجراً لليل العرب الذي طال إلا بقيادة موحد الجزيرة وفارسها **الملك عبدالعزيز**، فكانت قصيدة (يا من لليل العرب طال) أول قصيدة سعودية ينظمها في (عدن) بمناسبة قضاء **الملك عبدالعزيز** على المتمرد **حامد ابن رفادة** الذي هاجم الحدود السعودية عبر العقبة في آخر ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ الموافق يوليو ١٩٣٢م:

هُبُّوا بني العُرْب الكرام فكل شعبٍ قد تنوَّرْ
عزَّت شعوبُ الأرض والعربيُّ ممتهنٌ محقَّرُ
أوطانُهُ مملوكةٌ للأجنبيِّ بها تسيطرْ
ينهى ويأمُر وابن يعربَ - ويحهُ - يُنهى ويُؤمرْ
أَنهانُ في أوطاننا ولدى عشيرتنا ونُقهرْ؟

إلى أن يصل إلى بيت القَصيد فيعبر عن إعجابه بما أحدثه **الملك عبدالعزيز** في الحجاز:

(عبدالعزيز) الفارس المغوار والملك المُظفَّرْ
جئت (الحجاز) فصُنته ممَّن يعيثُ به ويفجرْ
وأقمتَ فيه الدين من أوهام سطَّرها مؤَّجرْ
فبدا هُدَى المختار وضاء كنور البدر أزهرْ

ويكتب للملك عبدالعزيز (نشيد يوم العقبة) إثر الخلاف مع **الملك عبدالله بن الحسين** الذي دعم المتمردين، ويدعو **الملك عبدالعزيز** للانقضاض على أعدائه ويشبهه **بصلاح الدين الأيوبي** في إخلاصه للدين وقيادة المسلمين إذ يقول:

يا أمة العرب انضوي	إلى اللواء النبوي
في كف شهم بدوي	عن قصده لا يرعوي

لو دونه ورد الحمام

وعندما تنشب المعارك بين السعوديين والأدارسة بعد نقضهم عهدهم مع **الملك عبدالعزيز**، وهي المعارك التي انتهت بانضمام منطقة عسير للمملكة العربية السعودية يكتب قصيدة طويلة بعنوان (ماذا في عسير؟) نشرت في حينها بمجلة (الفتح) في مصر هاجم فيها

كل الجماعات المناوئة للملك السعودي، وتوقف عند المحور الأساسي لسر إعجابه به، وهو تطهير العقيدة من البدع التي كان يحرص عليها هؤلاء:

راحوا بها شغباً على الـ	ملك السعوديّ الكبير
عبدالعزيز مجدد الـ	آمال في الزمن الأخير
ومطهر الحرمين من	بدعٍ تناستها العصور

■ **الدعوة المبكرة إلى التحالف بين اليمن والسعودية:**

وفي هذه الفترة شغلت باكثير مسألة العلاقات اليمنية السعودية، وحتمية التعاون بينهما، فكل وطنٍ منهما يُعدُّ بحق عمقاً استراتيجياً للآخر، ومن واقع المراسلات التي بحوزتي بين **باكثير ومحمد علي لقمان** وزملائه في (عدن) وجدت اتفاقاً على هذا الرأي، وإدانة **للإمام يحيى** الذي أخلف بوعوده وعهوده مع الملك السعودي ودعم خيانة الأدارسة.

وربما كان صوت باكثير في هذه الفترة من أوائل الأصوات التي دعت التحالف والاتحاد بين أكبر دولتين مستقلتين في الجزيرة العربية والوطن العربي بأسره، لهذا نجده يوجه الخطاب **للملك عبدالعزيز والإمام يحيى** في قصيدة (يا من لليل العرب طال) بقوله:

لا سورَ غير الاتحاد به جزيرتُنا تُسوَّرْ
فكلاكُما الشهمُ الهمامَ كلاكُما الفطنُ المنوَّرْ
لا تتركا فُرص الزمانِ تضيعُ إن الوقتَ جوهرْ

فتضامَنا وأنا الكفيل بأنَّ سُؤدَدَنا سيُنشرْ
فخرُ العروبةِ أنتما إن يبقَ للعربيِّ مفخرْ!

وفي قصيدة (ماذا في عسير؟) يشجع باكثير **الإمام يحيى حميد الدين** ويحضه على التعاون مع **الملك عبدالعزيز** ضد المناوئين للوحدة السعودية الذين وصل بعضهم إلى (عدن) يطلبون المساعدة فلم يستجب لهم أحد، فنجده يخاطب العدو ويذكره بأنه وقع بين كماشتين:

فأمامك الأسدُ الهصُور	وخلفك الأسدُ الهصور
(يحيى حميدُ الدينِ) فخـ	ـر العرب مولاها الغيور
وحليفُه (عبدالعزيز)	الفارسُ البطلُ الشهير
سيفان مصقولان لم	تسمحْ بمثلهما الدهور
سلتهُما سلاًّ على البـ	ـاغي يدُ اللهِ الخبير
رأيا العِدى بهما تربـ	ـص للدوائر أن تدور
فترابطا ـ فكلاهما	لكليهما نِعمَ النصير

ويختم بتحية **الملك عبدالعزيز** والحديث عن حلمه في تحقيق الوطن الكبير:

(وطنُ العروبة) من رُبى (نجد) إلى (اليمن) الغرير

ولم يكن هذا هاجس باكثير وحده بل هاجس كل الإسلاميين الوحدويين في الجزيرة العربية وفي العالم العربي.

■ **متابعته للأحداث الكبرى في اليمن من مصر:**

تابع باكثير بعد وصوله مصر الأحداث الكبرى في اليمن وكان على اتصال برموز الحركة الوطنية والفكرية والثقافية في اليمن بشطريه، وليس هذا مكان الحديث عن علاقته بالأحرار اليمنيين وخاصة **محمد محمود الزبيري** (١٩١٩ - ١٩٦٥م) **وأحمد محمد نعمان** (١٩٠٩- ١٩٩٦م) بعد وصولهم (عدن)، ودور صديقهم ونصيرهم المشترك **محمد علي لقمان** في توطيد هذه الصلة، فهذا يحتاج إلى كتاب مستقل - إن شاء الله.

ولهذا فإني أعتقد أن نشيد « اليمن الخضراء » ربما يكون أول نشيد وطني يُكتب لليمن، وقد أكد لي الأستاذ **أحمد محمد نعمان** في لقاء معه في منزله بجدة محطة حياته الأخيرة في ١٧/٧/١٩٨١م إنه **والزبيري** كانا على اتصال بباكثير في القاهرة الذي كان متحمساً لقضية اليمن الكبرى، ولهذا فضلا أن يكتب للأحرار اليمنيين نشيدهم الذي أرسله لهم:

اليمن الخضراء أمنا	أكرم بأمنا اليمن
والثورة البيضاء همنا	على عواثير الوطن

وعندما تُعلن وفاة **الإمام يحيى حميد الدين** في ١٧/٢/١٩٤٨م، ويُعلن قيام الدولة الجديدة يكتب باكثير بعد ذلك التاريخ بثمانية أيام قصيدة (أُمةٌ تُبعث) الذي يبشر فيها بالعهد الجديد فرحا:

اليوم تبعث أمة أنفٌ	تَبني ليعربَ قُبةً عُليا
موءودة ثوت الثرى زمنا	سبحان مخرجها إلى الدنيا

ورغم فرحته بالعهد الجديد الذي سيخرج اليمن مما كان يرسف

فيه من ظلام وانغلاق إلا أنه يُنصفُ الإمام يحيى حميد الدين ويترحم عليه، ويذكر حسناته ويتمنى لو أتمها بالإصلاح والانفتاح:

غفر الإلــه لعاهلٍ بطلٍ … صان الحِمى حُـرًّا ولـم يعيا
ما ضـرَّه لو قد أضاف إلى … حسناتـه التعمير والإحيا

ثم يستبشر خيراً بنجاح ثورة ٢٦ سبتبمر في قصيدة (ابتسمي للحياة صنعاء)، نادباً الظلام الذي كانت اليمن غارقة فيه:

انــزاح عنك البلاء والـداءُ … فابتسمي للحياة صنعاءُ
ابتسمي للحياة إن لها … حقا أبتـه عليك أرزاءُ

وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م يسعد باكثير باستقلال الجنوب اليمني وخروج الاستعمار من (عدن) فيكتب مقطوعة « تحية للجنوب المستقل »، ثم يكتب نشيد « يا دولة الجنوب » الذي كان إشراقة في دنيا العرب بعد هزيمة ١٩٦٧م المنكرة:

يــا دولـــة الجنـوب … يــا بلسم الجـراح
فــي ظلمة الخطوب … أشرقـت كالصباح

ولا ينسى في غمرة هذه الفرحة باستقلال الجنوب أن يذكر بأن هذه الفرحة لن تتم، واستقلال هذه الدولة لن يكتمل إلا بوحدة الجنوب والشمال في دولة كبرى. فبعد ثورة الشمال واستقلال الجنوب يرى باكثير أنه لم يعد هناك مبرر لوجود دولتين يمنيتين لهذا يقول مخاطبا دولة الجنوب:

عيشي مع اليمنْ … فــي دارةَ الشرفْ
والوحدةُ الثمنْ … والسُّؤدُدُ الهدفْ
لـــواؤك الجديدْ … يُـمنٌ على العربْ
فاليمنُ السعيدْ … ميلادُهُ اقتربْ

وقد حقق الله لباكثير أمله في قيام الوحدة اليمنية التي غنى لها وبشر بها لتكون خطوة نحو الوحدة العربية الكبرى التي كان يدعو إليها، ولبنة على جدار التضامن والتكاتف الإسلامي الذي كان يحلم به – رحمه الله.

وبعد .. فليس القصد من هذه المقدمة الطويلة دراسة الديوان بقدر ما هو تقديم العون للقارئ والباحث على فهم قصائده في إطارها الوجداني والاجتماعي والتاريخي، وذلك لطول المسافة الزمنية بيننا وبين تاريخ نظم هذه القصائد، فضلا عما سينتج عن ذلك من وعي بالتطور الفني للشاعر في ديوانه الثاني – الذي بين أيدينا الآن – مقارنة بشعره في ديوانه الأول « **أزهار الرُّبا في شعر الصبا** »، وما يمكن أن يستجد فكريا وفنيا في ديوانه الثالث « **صَبا نجد وأنفاس الحجاز** » الذي تتم طباعته حالياً.

فإلى اللقاء بين قصائد الديوان الثالث وفكره وفنه وقضاياه إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

محمد أبوبكر حميد

الرياض

١٢ ربيع الأول ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ مارس ٢٠٠٨م